

حذار، الصوت العالي.. مضاره الصحية خطيرة



www.balagh.com

التلوث الصوتي ظاهرة حقيقة، وليس مجرد تشبيه أو مجاز. والشباب، أكثر من غيرهم، معنيون بمضاره الصحية، التي قد تكون خطيرة. إذ ينصح بعضهم لبعض العادات الموسيقية، من دون حتى التفكير في وجود خطر جسيم على الأذنين، قد يصل إلى الصمم.

في بلدان الغرب، بشكل خاص، لكن عندنا أيضاً ولو أقل بكثير، لا يندر أن يصاب شبيبة إما بالصمم (الطرش)، أو على العكس التحسس المفرط من الصوت. وهذه حالة لا تقل إزعاجاً عن الصمم نفسه. فبعض المصابين يرغمون على البقاء في البيت، مع اتخاذ تدابير عزل صوتي مكلفة، لقطع دابر أي صوت، مهما كان بسيطاً. فحتى صوت تصفح صفحات كتاب، يصبح ذا وقع فطيع على آذانهم، وكأنّه جلسة "تعذيب". والسبب، مثلما حزرتكم، هو التعرض لما يدعوه الباحثون "صدمة صوتية"، على الأغلب أثناء حفلات موسيقية صاخبة. مثلاً، في برنامج بُث على التلفزيون، يظهر أحد الشباب (24 عاماً)، مؤكداً أنّه لم يغادر غرفته منذ أكثر من سنوات، "فأي ضجيج، مهما كان بسيطاً، يتضخم أضعافاً في مسمعي"، ويصبح وكأنّه ضرب مطرقي". يضيف: "لا أطيق حتى صوت الماء ملامساً القدح حين أسكبه للشرب". وتوضح أمّه، التي ترعاه منذ تعرضه "للحادث" الصوتي، أن حياتها هي أيضاً، مع زوجها وباقٍ أفراد الأسرة،

انقلبت رأساً على عقب، "إذ توجب الكف عن دعوة أي من الأقارب والأصدقاء، وتغليف جدران البيت وأرضيته بغازلات صوتية، توخي عدم إحداث أي ضوضاء، مهما كانت طفيفة، على الرغم من استخدام هذا الشاب سدادات آذان". لكن، ما سبب ذلك كله؟ حضر الشباب سهرة مع أصدقائه، وجلس طويلاً قريباً من مكبرات الصوت، من دون أن يأبه بشدته المفرطة. فأحس لاحقاً أولاً بنوع من الصمم، ثم بطنين داخلية مؤلم شبه متواصل، وأخيراً بحـس سمعي مفرط، يجعل أي صوت، مهما كان بسيطاً، يبدو وكأنه انفجار قنبلة. - سابقة قانونية: حالة الشاب أعلى ليست نادرة. فعلى سبيل المثال، تؤكد "جمعية مكافحة الصدمات السمعية" الفرنسية أن عدد المصابين بإصابات خطيرة، في فرنسا وحدها، يبلغ نحو 150 ألفاً، أكثرهم طبعاً مراهقون وشباب. وقبل سنوات، تحديداً عام 1997، اشتهرت حالة أحدهم، ويدعى فريديريك (في سن الـ30 وقتها)، نظراً إلى أنها تحولت إلى محاكمة، أسهـب الإعلام في الحديث عنها. إذ، للمرة الأولى في البلاد، حصل على تعويضات مالية جراء إصابته بـ"صـدة صـوتـية"، ما شكل سابقة قانونية. فقبل 4 سنوات من ذلك، عام 1993، كان فريديريك اختير عضواً في كورس لحفل أحيته فرقـة "يو2" الشهـيرـة، بالـغـةـ الشـعـبـيـةـ بينـ شـبـابـ تـلـكـ الفـتـرـةـ، فيـ مـلـعـبـ مدـيـنـةـ ستـراـسـبورـغـ (شـرقـيـ فـرـنـسـاـ). لكنـ، مـثـلـماـ يـحـصـلـ كـثـيرـاـ فيـ مـثـلـ تـلـكـ الحـفـلـاتـ، تـجاـوزـ شـدـةـ الصـوتـ الحـدـ الأـقصـىـ المرخصـ بهـ قـانـونـياـ، وـهـوـ 105ـ دـيـسـيـبـلـ، لـكـيـ تـطاـولـ 120ـ دـيـسـيـبـلـ فيـ العـلـبـ اللـيـلـيـةـ وـالـحـفـلـاتـ فيـ الـهـوـاءـ الـطـلـقـ، فـتـبـلـغـ حـتـىـ 140ـ دـيـسـيـبـلـ قـرـبـ مـكـبـراتـ الصـوتـ. وـتـلـكـ درـجـاتـ صـوتـيـةـ وـخـيـمةـ الـعـوـاقـبـ، وـبـمـكـنـ أـيـ تـصـيبـ أـيـ أـذـنـ حـسـاسـةـ إـصـابـةـ دـائـمـةـ. يـقـولـ فـريـديـرـيكـ: "لـأشـهـرـ طـوـيـلـةـ بـعـدـ الـحـفـلـ، صـرـتـ أـسـعـ أـصـواتـاـ دـاخـلـيـةـ، وـطـنـيـنـاـ مـزـعـجـاـ مـنـبـعـشـاـ مـنـ الـأـذـنـيـنـ نـفـسـيـهـمـاـ، مـاـ شـكـلـ عـذـابـاـ مـبـرـحـاـ مـتـواـصـلاـ". يـضـيفـ: "أـصـبـحـ صـوتـ تـقـلـيـبـ صـفـحةـ فيـ جـرـيـدةـ، أـوـ كـتـابـ، يـجـعـلـنـيـ أـبـكـيـ مـنـ الـأـلـمـ". هـكـذاـ، رـفـعـ الشـابـ دـعـوىـ ضدـ منـظـمـيـ حـفـلـ الـ"رـوكـ آـنـدـ روـلـ"ـ المشـؤـومـ. وـبـعـدـ 4ـ سـنـواتـ مـنـ الـمـداـواـتـ وـالـتـلـكـؤـ، حـصـلـ عـلـىـ حـكـمـ لـمـصـلـحـتـهـ، بـتـعـويـضـ مـالـيـ مـنـ 200ـ أـلـفـ فـرـنـكـ، وـقـتهاـ. أـمـّـاـ "ـجـمـعـيـةـ حـمـاـيـةـ السـعـمـ"ـ الـفـرـنـسـيـةـ، فـتـؤـكـدـ أـنـ الشـابـ الـفـرـنـسـيـنـ مـمـنـ تـبـلـغـ مـعـدـلـاتـ أـعـمـارـهـمـ 30ـ عـامـاـ الـيـوـمـ، بـاتـ سـمـعـهـمـ يـساـوـيـ، مـنـ حـيـثـ النـوـعـيـةـ، سـمـعـ مـنـ كـانـواـ فـيـ سـنـ الـ50ـ منـ الـجـيلـ السـابـقـ. وـتـشـيرـ إـحـصـاءـاتـ الـجـمـعـيـةـ إـلـىـ أـنـ عـلـامـاتـ إـصـابـةـ الـأـذـنـيـنـ وـتـرـدـيـ السـعـمـ، سـوـاءـ نـحـوـ الصـمـمـ الـجـزـئـيـ أـمـ الـكـلـيـ أـمـ عـلـىـ الـعـكـسـ الـحـسـاسـيـةـ السـعـمـيـةـ الـمـفـرـطـةـ، تـظـهـرـ لـدـيـ 6ـ فـيـ الـمـئـةـ مـنـ الـمـرـاهـقـيـنـ وـالـشـابـ بـيـنـ سـنـيـ 15ـ وـ19ـ عـامـاـ، وـ9ـ فـيـ الـمـئـةـ بـيـنـ سـنـيـ 20ـ وـ24ـ عـامـاـ. وـالـسـبـبـ، طـبـعاـ، الـعـادـاتـ السـعـمـيـةـ السـيـئـةـ، وـالـإـنـصـاتـ إـلـىـ موـسـيـقـىـ صـاـخـبـةـ طـوـالـ سـاعـاتـ كـثـيرـةـ. فـبـحـسـ إـحـصـاءـاتـ وزـارـتـيـ الـصـحـةـ وـالـتـرـبـيـةـ، ثـمـةـ 87ـ فـيـ الـمـئـةـ مـنـ الـصـبـيـةـ وـالـشـابـ، بـيـنـ سـنـيـ 15ـ وـ24ـ عـامـاـ، يـسـتـخـدـمـونـ جـهـازـاـ يـرـكـبـ عـلـىـ الـأـذـنـيـنـ لـسـمـاعـ الـمـوـسـيـقـىـ بـشـكـلـ مـسـتـمـرـ، أـحـيـاـنـاـ حـتـىـ أـثـنـاءـ حـصـصـ الـدـرـاسـةـ (ـمـثـلاـ، مـاـ كـانـ يـسـمـىـ "ـوـوـكـمـانـ"ـ، الـذـيـ شـاعـ حـتـىـ سـنـواتـ خـلـتـ قـبـلـ أـنـ تـحلـ

محله اختراعات جديدة، منها ما يدعى "آي بود"، وما إلى ذلك). ومن بينهم، يؤكد 20 في المئة أنهم يصلون إلى الموسيقى 5 ساعات يومياً^٣ مما فوق، ويضعون درجة الصوت على أقصى حد ممكن. - 80 ديسيل في المكاتب: وحتى مع الموظفين الاعتياديين، غير المعتادين على حضور حفلات صاحبة، يتبيّن أنَّ الضجيج يشكل رابع أسباب الأمراض المهنية، بحسب إحصاءات وزارة العمل، وأنَّه يخص ثلثي العاملين جمِيعاً. وفي هذا الشأن، يؤكد الدكتور ألان لوندريو، أخصائي الأنف والأذن والحنجرة في مستشفى جورج بومبيدو، في باريس، المكلف بشؤون "الطب المهني"، أنَّ الضجيج موجود حتى في أماكن غير متوقعة. "ففي ما يخص الصناعات الثقيلة، وحرف كالحدادة والنحارة، الأمر مفهوم، لكن ما بالكم والضجيج الموجود في المكتب؟ وذلك بسبب عمل المكيفات والمراوح والكمبيوترات، وغيرها"، مثلما يعلق بضمير: "التعرض لتلك الترددات الواطئة، لكن بشكل متواصل 8 ساعات في اليوم، أو أكثر، له أيضاً مفعول تدميري للأذنين". ويدرك في هذا الصدد أنَّ التشريعات الأوروبية، بعد الانتباه لتلك المشكلة، تمَّ تعديلها مؤخراً، بحيث خفضت الحد الصوتي الأقصى المسموح في المكتب من 85 ديسيل إلى 80 ديسيل. وفي رأيه حتى 80 ديسيل خطيرة في حال تلقي الأذنين لها 8 ساعات، أو أكثر بشكل متواصل. إلى ذلك، حتى في حال عدم تعرض الأذنين لـ"صدمة صوتية" خطيرة مشخصة بشكل واضح، يؤدي تعريضهما لضجيج عالي إلى اضطرابات أخرى، تخص القلب والدورة الدموية. فمثلاً، عمد فريق من قسم "الدراسات الفيزيائية التطبيقية"، التابع لـ"المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي"، بإشراف البروفيسور ألان موزيه، إلى إجراء تجارب على شباب خاضوا تجربة حضور حفلات موسيقية صاحبة. فتبين أنهم "لا يعودون يذكرون الضجيج الثابت، المتبقى في ذاكرتهم الصوتية، كأحد عوامل اضطراب نومهم، وذلك بعد مضي 3 إلى 5 ليالٍ". لكن، على الرغم من ذلك، بحسب البيانات القلبية التخطيطية التي وضعت لهم خلال 15 ليلة متواصلة، استمرت تلك الصدمات الصوتية في خلخلة أنظمتهم القلبية والشريانية حتى الليلة الأخيرة، أي الـ15، من دون أن يدركون وضعهم". وكانت دراسة أخرى، أجراها المركز نفسه، وعلى مدى 5 سنوات، لدى الساكنين في الضواحي المتاخمة لمطار رواسي (المعروف بشدة الضجيج بسبب حركة الطائرات)، أثبتت أنَّ التعرض للأصوات العالية والضجيج يفضي إلى اضطرابات وتيرة القلب وتقلص الأوعية الدموية، حتى في حال "تعود" الساكنين على تلك الأصوات، بحيث لا يعودون ينتبهون إليها. - العسكريون أيضاً: كما أجرى الباحثون الفرنسيون دراسات خاصة، سعياً للإجابة عن التساؤل: كيف يمكن التكهن بأنَّ الاضطراب السمعي الناجم عن "صدمة صوتية" سيكون دائمًا أم مؤقتاً؟ فمثلاً، قام فريق من قسم "دراسات الأعصاب والحسية السمعية"، من المركز المذكور نفسه في مدينة ليون، بالاشتراك مع مستشفى "ديجونيت" العسكري، بدراسة لتلك الغاية. إذ أخذوا لاختبارات وفحوصات خاصة عسكريون شباب، تعرضوا لأصوات فرقعة باللغة الشدة جراء حوادث

(مثلاً، انفجار مخزن ذخيرة، أو إطلاقات مدوية أثناء التدريب، وما إلى ذلك). تقول الباحثة آني مولان، التي أشرفت على الدراسة: "إنّ هذه بینت أن تسجيل ردود فعل الأذنين خلال الـ24 ساعة التي تلي الحادث الصوتي، أيًاً كان مصدره، هي التي تتيح معرفة شدة الإصابة الحقيقية، وإن كان متوقعاً أن تستديم أم لا، وذلك أكثر من فحوص السمع التقليدية، التي لا تؤمن بأجوبة مضبوطة عن ذلك التساؤل".

في الخلاصة، نقول: إنّ الضجيج والأصوات العالية مشكلة لا ينبغي الاستهانة بها، وإن على الآباء حض أولادهم على الانتباه إلى خطر تعريض آذانهم لها، ما قد يفضي، لا قدرّاً، إلى حالات مشابهة لما يعيشه كل من الشابين، المشار إليهما.